

الفكر الاشتراكي الأوربي الحديث

دراسة في نشأته وتطوره

د. هوكر طاهر توفيق

فأولتي العلوم الانسانية، قسم التاريخ، جامعة زاخو، اقليم كردستان العراق

المستخلص

تعد دراسة تاريخ الأفكار من المواضيع التي تحوز على اهتمام كبير بين الباحثين وخاصة في الغرب الأوربي؛ كون شعوب غرب القارة الأوربية هي المنبع الرئيس لتلك الأفكار في العصر الحديث، فقد نشأة فيها وترعرعت عبر مراحل تاريخية مختلفة. من أبرز تلك الأفكار هو الفكر الاشتراكي الذي نبي بجانب الأفكار الأخرى مثل: القومية، الرأسمالية، الفكر المحافظ... الخ. ان ظهور هذا الفكر في العصر الحديث (القرنين التاسع عشر والعشرين) تحديداً قد ولد صراعاً حاداً في المجتمع الأوربي، وقد اخذ هذا الصراع منحنيين، الأول: الصراع داخل التيار الاشتراكي نفسه الذي يُعد من أكثر التيارات الفكرية انشغافاً مقارنة بالتيارات الأخرى، الصراع الثاني: وقد كان صراعاً عنيفاً تصادمياً بين هذا التيار والتيارات الفكرية الأخرى خصوصاً القومية التي تستند على العرق، والرأسمالية وجوهرها الاقتصاد، التي نمت جنباً إلى جنب خلال تلك المدة.

الكلمات الدالة: الفكر الاشتراكي، الثورة الفرنسية، كارل ماركس، الاممية.

١. المقدمة

أو تلك؟ كيف تطورت في مكان دون اخر؟ هل يجوز تطبيقه على كافة المجتمعات البشرية؟ ان مثل هذه الاسئلة تقود بالباحثين والمفكرين في هكذا دراسات إلى متاهات يصعب السيطرة على بداياتها وتفاصيل نهايتها، الفت هذه الاشكاليات بظلالها على طبيعة الخطة التي من الواجب تتبعها لفهم اوضح لهذه الفكرة التي هي معقدة أصلاً، لذلك قسمت الدراسة إلى اربعة مباحث مع مراعاة التسلسل الزمني لثلاث تنبعث فكرة الموضوع ككل، كتب المبحث الأول تحت عنوان (نشوء الفكر الاشتراكي) وفيه تمت الاجابة على العديد من الأسئلة مثل: اين ظهر هذا الفكر في العصر الحديث؟ ما هي عوامل ظهوره؟ من هم الرواد الأوائل لهذه الفكرة؟ ادرج المبحث الثاني تحت عنوان (الاشتراكيون الفرنسيون الأوائل) وفيه تم تسليط الضوء على تطور هذه الفكرة بعد القضاء على نابليون في اوربا سنة ١٨١٥ حيث كان البناء الذي تطورت فيه هذه الفكرة هي فرنسا بشكل عام فضلاً عن عدد قليل من المفكرين الانكليزي والامان ولكن كان للمفكرين الفرنسيين الريادة في تطور هذا الفكر. في المبحث الثالث المعنون ب(ولادة النظرية الماركسية-البيان الشيوعي) يجيب فيه عن عديد الاسئلة منها مثلاً: كيف غيرت شكل الاشتراكية من قبل البيان الشيوعي الذي صدر سنة ١٨٤٨؟ ما هو مضمون البيان الشيوعي الذي اصدره كارل ماركس وصار بعد ذلك بمثابة الكتاب المقدس لكل شيوعي العالم؟ هل انتقلت الاشتراكية بعد البيان الشيوعي من مرحلة تعترف فيه بدور الافكار الاخرى في المجتمع إلى مرحلة تكون فيها

كان للفكر الاشتراكي ولا يزال دوراً كبيراً في تطور ومسار الاحداث السياسية في العالم اجمع، هذا الفكر الذي بدء ظهوره في العصر الحديث مع احداث الثورة الفرنسية وظهر نابليون في القارة الاوربية، لتتجاوز مرحلة الفكر إلى التطبيق العلمي في العديد من دول العالم مع نهاية الحرب العالمية الأولى.

يهدف هذا البحث إلى بيان الأطر أو الحدود التي نشأة بينها هذا الفكر وترعرعت، مبتعداً قدر الامكان عن الحركة الاشتراكية المسلحة التي شهدت ثورات وانتفاضات اجتاحت العديد من الدول بعد الحرب العالمية الأولى، كيف هو الهيكل العام لهذا الفكر؟ البداية والتطور ومرحلة القوة والانحسار.

من المعلوم ان دراسة تاريخ الافكار تعد واحدة من اصعب الدراسات في مجال التاريخ العام، فهناك جدل واسع بين رواد الافكار حول الكيفية التي ظهرت فيها أو العوامل التي ساعدت على ظهورها؟ متى ظهرت الفكرة؟ ما هو الهدف الحقيقي لهذه الفكرة

المجلة الأكاديمية لجامعة نوروز

المجلد ٦، العدد ٢ (٢٠١٧)

استلم البحث في ٢٠١٧/٤/١، قبل في ٢٠١٧/٥/٢٣

ورقة بحث منتظمة نشرت في ٢٠١٧/٦/٢٦

البريد الإلكتروني للباحث: hogir.tahir@gmail.com

حقوق الطبع والنشر © ٢٠١٧ أسماء المؤلفين. هذه مقالة الوصول اليها مفتوح موزعة تحت رخصة

المشاع الإبداعي النسبية – CC BY-NC-ND 4.0

ينبغي ان يمتلكها المجتمع ويسيطر عليها، وان الانتاج ينبغي ان يكون موجهاً، جزئياً في الاقل لسد الحاجات الاجتماعية لا ان يحدد بالرغبات الشخصية وحدها، وان توزيع المكافآت ينبغي ان يكون متساوياً أو على وفق مقياس للعمل من مثل وقت العمل أو على وفق الحاجة ولكن ليس انعكاساً للقوة الخاصة وقوى السوق، وان الانجاز الفردي لا يمكن تحقيقه الا بعد تلبية الحاجات الاجتماعية (روبرتس و ادواردز، ١٩٩٩، ص ٤٢٢ - ٤٢٣)، وتبني الاشتراكية على شكلين من الملكية: ملكية الدولة (العامة)، والملكية التعاونية والجماعية (يودين، ١٩٨٠، ص ٣٠).

رغم ما يقال عن قدم الاشتراكية في التاريخ كما يقول فيشر: "والاشتراكية التي هي قديمة قدم الفقر ذاته تتخذ اشكالاً مختلفة في الازدهان المختلفة" (فيشر، ١٩٧٢، ص ١٦٦؛ عطية الله، ١٩٦٨، ص ٧٤-٧٥). الا ان ظهور الفكر الاشتراكي الحديث في اوربا ظهر نتيجة عاملين اثنين اواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ليتطور فيما بعد إلى ايدولوجية تبنتها العديد من دول العالم وخاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى، والعاملان هما:

أ- ظهور الثورة الصناعية في بريطانيا بدءاً من منتصف القرن الثامن عشر، حيث ان مجموعة الظواهر التقنية، والاقتصادية، والاجتماعية، التي توصف بالثورة الصناعية، الخالقة للبروليتاريا (Proletariat) ^(١) العالمة كانت ضرورية من اجل اعطاء الاشتراكية، كحركة رئيسية في القرنين التاسع عشر والعشرين، السياق الذي لن ينفصل عنها فيما بعد. لان نمو الصنعة اذ وجد نفسه يتسارع بشكل استثنائي، فإننا كنا نشهد أيضاً، بشكل متناقض، نمو للبؤس ولما يسمى بالإفقار الصناعي. كان المقصود من الاشتراكية هو التنديد بتجاوزات النزعة الصناعية الوليدة التي تركت وشأنها باسم مبدأ المنافسة الحرة المقدس، المرتبط بشكل وثيق مع مبدأ المبادرة الفردية الحرة. وقد تبين بان عمالاً منسحقاً في ميدان انتاج وتوزيع الخيرات المادية كان مؤهلاً بشكل كامل لان يحل محل المبادرة الحرة للأفراد: انه عمل ذو طابع اجتماعي يقوم به المجتمع في مجموعة أو على يد فئات متشاركة، ويحل محل الكثرة الفوضوية للأعمال الفردية. بهذا المعنى ستحل الاشتراكية محل الفردية (شوفالييه، ٢٠٠٢، ص ٢١٩ - ٢٢٠؛ حسين و نعمة، ١٩٣٩، ص ١٠٣). فمذ تلك المدة برزت نتائج الصناعة الكبرى، ازيمات تخمة الانتاج، مع ما رافقها من ارتفاع مفاجئ في اسعار المصنوعات، وانهبان مالي في العام ١٧٩٣ (ميدلوكوب، ٢٠١٦، ص ٣٧-٣٨)، وارتفاع عدد السكان، ونمو المدن، وقيام طبقة من الرأسماليين الصناعيين لا حلم لها، من جهة ثانية، الا ان تنصهر في طبقة

السيادة فقط للفكر الشيوعي ولا احد سواه لقيادة العالم المتحضر؟ ادراج المحث الرابع والاخير تحت عنوان (الاممية) فقد كانت لظهور الامميات ومجموعها اربعة، بمثابة المنزل الذي تطور من خلاله هذا الفكر، حيث اجريت تحت سقف تلك الامميات اشد واقوى المجادلات والنقاشات الفكرية بين رواد الفكر الاشتراكي، من حيث كيفية التعامل مع الاخر وما هو الهدف من الاشتراكية في حياة الانسان؟

أما بخصوص المصادر التي اعتمدها هذه الدراسة، فكان في معظمها الدراسات الاجنبية وخاصة الاوروبية التي تناولت تاريخ تطور هذا الفكر، يأتي في مقدمتها كتاب (تاريخ أوروبا في العصر الحديث ١٧٨٩-١٩٥٠) لمؤلفها (هـ.أ.ل. فيشر) فان هذا الكتاب رغم ادراجه في خانة كتب التاريخ الا انه يحتوي على معلومات غاية في الاهمية بخصوص الافكار التي ظهرت في اوربا وكان لظهورها اثر واضح في تاريخ اوربا في العصر الحديث. ويندرج ضمن نفس المفهوم كتاب (التاريخ الأوروبي الحديث ١٧٨٩-١٩١٤) للمؤلف (كارلتون هيز) حيث تتبع تاريخ الفكر الاشتراكي خاصة في طور تطوره في فرنسا. ويعد كتاب (تاريخ الفكر الأوروبي الحديث ١٦٠١-١٩٧٧) للمؤلف (رونالد سترومبوج) من احد افضل المؤلفات التي تتبع نشوء وتطور الافكار الاوروبية في العصر الحديث مكثفياً تتبع تطور الافكار لدى روادها من مرحلة تاريخية إلى اخرى. كما كانت للمعلومات التي نشرتها الموسوعة العربية على موقعها الالكتروني (WWW.ARAB ENCYCLOPEDIA.htm) الأثر البالغ في اغناء هذه الدراسة بمعلومات وافرة خاصة فيما يخص تاريخ الامميات الاشتراكية وهذه المعلومات التي وردت في هذه الموسوعة تسكت عنها اغلب المصادر العربية والمترجمة. وما دام الحديث عن المصادر فمن المهم الاشارة إلى مؤلف (جي. دي. اتش كول- G.D. H. COLE) المعنون ب(الفكر الاشتراكي: المتقدمون- SOCIALISTTHOUGHT : THE FORERUNNERS) الذي يقع في جزأين ويمكن القول بخصوص هذا الكتاب ان مؤلفها عرف كيف يعرض نشوء وتطور الفكر الاشتراكي بأسلوب مبسط معتمداً على التسلسل الزمني والمكاني في الوقت نفسه.

أولاً- نشوء الفكر الاشتراكي:

تعددت الافكار والمفاهيم بخصوص الفكر الاشتراكي، واختلفت تعاريف ومفهوم الاشتراكية حتى بين الاشتراكيين انفسهم، ورغم ذلك يمكن تعريف الاشتراكية في اطارها العام، على انها: "عقيدة او ممارسة مستندة إلى الايمان بان وسيلة الانتاج

فأدخل الطمع والمدنية وجميع متلازماتها" (سترومبرج، ١٩٩٤، ص ٣٥٠ - ٣٥٩). ويندد (مابلي-Mably) (١٧٠٩-١٧٨٥) بالملكية الخاصة باعتبارها مصدراً لكل المصائب التي امت بالبشرية. حيث قال: "ملعونة هي التجارة التي ادت لإخفاء البساطة السعيدة في العادات! ملعونة هي المصانع! ان الوضع الذي يعيش فيه العامل الحديث كان مثل تبعية وضع العبد" (شوفالييه، ٢٠٠٢، ص ٢٢٢ - ٢٢٤). كما يعتبر (فرانسوا نوبيل باييف-Francois Noel Babeuf) (١٧٦٠-١٧٩٧) ابن الثورة الفرنسية ونصير عهد الارهاب، من ابرز الاشتراكيين الذي اثرت افكارهم في الاجيال اللاحقة، وقد دبر باييف مؤامرة لقلب حكومة الادارة واقامة مجتمع شيوعي عام ١٧٩٦ في فرنسا، وكان يتخذ لنفسه اسم (جراكوس-Gracchus) نسبة إلى زعيم العامة الروماني المثالي، فكشف المؤامرة وسيق صاحبها إلى المقصلة. كان باييف يقول "لقد وهبت الطبيعة الناس جميعاً حقوقاً متساوية في التمتع بكل الطيبات". وطالب بضرورة المبادرة إلى تأميم جميع مؤسسات الاعمال الكبيرة على ان يعقبه تأميم الثروة الخاصة عن طريق الغاء الميراث، ومن ثم تتولى الحكومة المنتخبة عمليات الانتاج والتوزيع. وأعلن إن الشخص الذي لا يؤدي عملاً نافعاً يجب حرمانه من الحقوق السياسية، كما طالب بتحريم التعاليم التي تخالف ذلك النظام. وعنده ان الغذاء والكساء يجب ان يكونا واحداً للجميع، ولا استثناء الا لدواعي اختلاف الجنس والسن. اما الأطفال فيجب ان يؤخذوا من اهليهم لتجربتهم على اساليب المجتمع الجديد (سوريل، ١٩٦٥، ص ٨٣؛ روبنسون، ٢٠١٥، ص ١٥٦-١٦٤). وكان باييف يبشر بـ"الاشتراكية التوزيعية" حيث يقوم مجتمع عام لما يكتسبه جميع الافراد ومن ثم يجري توزيعه بالتساوي فيما بينهم، وكان شعاره: "ان الطبيعة قد اعطت كل انسان حقاً متساوياً وحق كل فرد اخر في التمتع بجميع الاشياء" (سترومبرج، ١٩٩٤، ص ٣٥٠ - ٣٥١).

ولكن رغم ذلك فان انتشار مفاهيم الفكر الاشتراكي قد بدء بعد انتهاء العهد النابليوني في فرنسا عام ١٨١٥، وكلمة او مصطلح الاشتراكية نفسها هي كلمة حديثة أيضاً، فقد ولدت في وقت واحد تقريباً في كل من فرنسا وانكلترا وذلك بين عام ١٨٣٠ وعام ١٨٤٠، ففي فرنسا يبدو ان (بيير لوروي-Pierre Leroux) (١٧٩٧-١٨٧١) من اتباع (سان سيمون-Saint Simon) (١٧٦٠-١٨٢٥) كان أول من اعطى لهذه اللفظة معنى دقيقاً وأول من اتخذها اسماً لمذهب عام ١٨٣٣، وكان يعني بها النظرية التي تلحق الفرد الحاقاً كلياً بالمجتمع والمغالاة في الاتجاه المعاكس لاتجاه المذهب الفردي.

النبلاء، توسع طبقة من عمال المصانع الذين لا يمتلكون اية وسيلة من وسائل الانتاج وليس لهم سوى سواعدهم واولادهم: اي طبقة من الكادحين. لقد ارتفعت اجور بعضهم الحقيقية وتحسن الغذاء والصحة وطال امد الحياة مع الانتاج. ولكن الكثيرين من عمال الصناعة كعمال المصانع المتدربين وصانعي المسامير والحاكة ما زالوا يتقاضون اجراً ضئيلاً ويتغذون تغذية سيئة ويقعون في مساكن حقيرة فتفك بهم حمى المصانع وداء السل. منذ العام ١٧٨٥ تجمع هؤلاء العمال وقاموا باضرابات وأعمال عنف استهدفت الآلات والاشخاص وطلبوا البرلمان البريطاني بتشريع يحميهم فكان ذلك منطلق الصراع الطبقي (موسنيه و لا بروس، ٢٠٠٣، مج ٥، ص ١٢٤؛ موسى، ١٩٦٢، ص ٧ - ٨).

ب- مبادئ الثورة الفرنسية والعهد النابليوني في اوربا (١٧٨٩ - ١٨١٥) فان الاشتراكية الاوربية الحديثة مدينة للثورة الفرنسية ببعض من الصفات المميزة التي احتفظت بها طويلاً، مثل نزعة المساواة كحافز للاشتراكية، والروح الثورية التي اظهرت ان بمقدور النوع البشري ان يعبر بقفزة واحدة من نظام حكم إلى نظام حكم اخر والنزعة العقلية والنزعة الأممية التي لم تعد تهتم بقضية المدينة أو الأمة محسب وانما بقضية الجنس البشري كله (COLE, 1953, Vol: I, P. 11-22؛ هيز، ١٩٨٧، ص ١٣٠-١٣١). فبعد ختام الثورة الفرنسية لم يكد الرجل العادي يشعر باي تحسين، ذلك ان قيام النظام الصناعي الحديث في عهد مبكر في فرنسا صحبه، كما في غيرها من بلدان اوربا، التعطل وطول ساعات العمل واجور الكفاف وانحطاط شأن الزراعة. ان خيبة الامل الناجمة خلقت جوّاً يلائم دعاة المساواة الاقتصادية. فقد شعر العامة من الناس وخصوصاً في فرنسا، لانهم هم من قامت على اكتناهم الثورة الفكرية والادبية في اوربا، شعر الناس في فرنسا بأنه ما الذي تغيير في حياتهم بعد الثورة لا شيء سوى تبادل الادوار بين الاقطاعيين والبرجوازيين الذين اخذوا بزمام المبادرة في السياسة والاقتصاد، فكان هذا المنبع الاساسي لظهور الفكر الاشتراكي في اوربا (سترومبرج، ١٩٩٤، ص ٣٥٠ - ٣٥٩).

صحيح هناك العديد من المفكرين قبل الثورة الفرنسية واثناءها من نادوا بالفكر الاشتراكي، ومنهم على سبيل المثال (مونتسكيو-Montesquieu) (١٦٨٩ - ١٧٥٥) حيث كتب في مؤلفه (روح القوانين-The Spirit of the Laws) يقول: "ان اصول الملكية بدأت أول ما بدأت بفضل اغتصاب ... بدأ احدهم فقال هذا ملكي الخاص ونجح في تملكه وبذلك انتهت تلك الانشودة الرعوية، انشودة الشيوعية،

وكيف كان مسكن العمال آنذاك؟ قليلون جداً ارباب العمل الذين يعنون ببناء منازل لائقة للعمال يركن خروجه من المعمل؟ فلقبو أو الكهف ينتظروهم في مدينة ليل وفي ليفربول، والزريبة في هوايتشايل ورنس وروان، والبيت الحربي العالي الجدران التنت الساحة في ليون، وفي الداخل فراش من القش قلما عرف الشرف الحرام غطاء في الليل. ومن اصل (٣) مواليد في باريس واحد منها يولد سفاحاً وواحد من (٥) في مدينة (ميلهوز-Mulhouse) عام ١٨٢٧، وموت منهم قبل ان يبلغ الخامسة الثلاث في بعض شوارع ليل. ويروي اشيل بينو، احد كتاب تلك المدة: "ان معظم العمال يشاهدون اولادهم يموتون دون ان يبالوا بشيء وأحياناً بكل ارتياح. ومن وسط هذه المآسي اخترت الفكرة النقابية التي من أهدافها الرئيسية السعي للتخفيف من الأضرار والأذى التي يتعرض لها أبناء المهنة". ولذلك عمدت المظاهرات العمالية في اوربا الغربية بالخصوص وبشكل ادق في فرنسا. وقد ذكر محافظ (الرون-Rhone) - احدى المحافظات الفرنسية - في احد تقاريره: "هنالك بين ٦٠٠٠٠ و ٨٠٠٠٠ من العمال كانوا بالفعل يتضورون جوعاً. فلم يكن بالإمكان مقابلة مظاهرتهم السلمية اعراباً عن مطالبهم المشروعة بأطلاق النار عليهم الا اذا كنا بالفعل نوني افناءهم بالجملة". وقد بلغ من شدة خوف اصحاب الاملاك في باريس عام ١٨٣٤ ان راح تبيير يعلن عالياً: "لا مكان للرحمة قط"، كما راح الجنرال بوجو يصرح بدوره: "يجب قتل الجميع لا رحمة على الاطلاق كونوا بدون شفقة..." (شنيرب، ٢٠٠٣، مج ٦، ص ٨٧ - ٨٨). لذلك لم يقدم اي بلد ما قدمته فرنسا من المذاهب والنظريات الاشتراكية من حيث الكم والنوع" (سترومبرج، ١٩٩٤، ص ٣٥٣). لهذا السبب قال (فردريك انجلز - Friedrich Engels) (٢): "ان الصراع الطبقي بين البروليتاريا والبرجوازية برز الى الصف الاول في تاريخ أكثر بلدان اوربا تقدماً وتطوراً" (شنيرب، ٢٠٠٣، مج ٦، ص ٩٣). وما سبق يظهر جلياً لماذا ظهر الفكر الاشتراكي في فرنسا قبل غيرها من الدول الاوربية؟ ولماذا ولد الجيل الاول من الاشتراكيين في فرنسا؟

ثانياً- الاشتراكيون الفرنسيون الأوائل:

أسان سيمون (١٧٦٠ - ١٨٢٥):

يعد الكونت (سان سيمون-Saint Simon)، من ابرز الاشتراكيين الفرنسيين حيث ألف كتاب (المسيحية الجديدة)، يرى سيمون انه في ظل النظام الجديد يحتاج الناس إلى سلطة روحية تضطلع بنفس الدور الذي كانت تؤديه الكنيسة في عهد الاقطاع. هذا النظام الجديد الذي يهدف له القضاء على القدم سيني على العلم والصناعة. الا ان

وفي انكلترا اصبح هذا التعبير متداولاً في مدرسة (روبرت اوين-Robert Owen) (١٧٧١-١٨٥٨) عام ١٨٣٥، اشهر الاشتراكيين الانكليز في القرن التاسع عشر، وكانت هذه الكلمة - الاشتراكية - تستعمل للإشارة إلى اتجاه عند روبرت اوين يقول بان من الممكن التوصل إلى بناء عالم اقتصادي واخلاقي جديد بدون مساعدة الدولة وذلك بتكثيف الناس بصورة حرة في جمعيات تعاونية (هيز، ١٩٨٧، ص ١٣٠-١٣١، ص ١٣٠؛ شالي، www.snurl.com).

مع تباين ظروف العيش تبايناً ملحوظاً بين بلد وبلد، وبين حرفه وحرفة، وبين مهنة ومهنة، فمن الثابت على العموم هو ان هذه الظروف لم يطرأ عليها أي تحسن يذكر في القسم الأول من القرن التاسع عشر، بينما تكاليف العيش السنوية لدى الاسرة العاملة في فرنسا مثلاً كانت دوماً بارتفاع مطرد إلى عام ١٨٢٥ وما تكاد تنتهي إلى اقرار حتى تأخذ بالهبوط فيما بعد. فمدل كلفة الحياة يرتفع أكثر بكثير من معدل الأجر الحقيقي الذي يدفع للعمال، فترتب عامل المنجم الذي كان (١٠٠) عام ١٨٩٢، كان (٣٦) عام ١٨٠٥ و(٤٢) عام ١٨٣٠ و(٤٩) عام ١٨٥٠. وقد حدث هبوط في اجر قطاع النسيج لا يمكن تجاهله او نكرانه. فمن (٨٠) عام ١٨٠٠ هبط إلى (٦٥) عام ١٨٢٠ وإلى (٤٠) عام ١٨٢٧ وإلى (٤٥) عام ١٨٥٠، والادلة كثيرة تشهد غالباً على ما في هذا القطاع من تفاوت وتناقض ومفارقات، فالعامل في مصانع (كروس روس-Cross Ross) في مدينة ليون الفرنسية الذي كان يعمل في صناعة الحرير هبط اجره إلى النصف في الازمة التي وقعت بين ١٨٢٤ - ١٨٣٠ (شنيرب، ٢٠٠٣، مج ٦، ص ٨٧ - ٨٨). كما كانت ظروف العمل قاسية جداً: حرارة مرتفعة أو واطية، عدم توفر النور، ضيق المبنى ورطوبة المكان، مضار المواد المستعملة واذاها في صحة العامل، اختلاط الجنسين والاعمار. ويلاحظ (لويس اوغست بلانكي-Blanqui) (١٨٠٥ - ١٨٨١) احد الكتاب الشيوعيين الفرنسيين في تلك المدة: "ان العاملات في مصنع كروس - روس تريح الواحدة منهن (٣٠٠) فرنك في السنة بمعدل (١٤) ساعة عمل في اليوم الواحدة على انوال تكون معها مربوطة بسير من الجلد ومعلقة بحيث تستطيع استخدام رجليها ويديها معاً في هذه الحركة الدائمة المتواقة التي لا بد منها لتسج ما وزنه غالون". وفي احد معالم النسيج في مدينة (انسي-Annecy) في فرنسا جاء في احدى العرائض المؤرخة عام ١٨٤٨ ما يلي: "هنالك مراقبون لا وجدان لهم ولا ضمير، يستئون للعمال والعاملات المكلفين بأشغال الوصل، القسوة الفاحشة بحيث ان عدداً كبيراً ممماً يقضون نحبهم تحت الضرب المبرح".

يكون ثمة تناسب دقيق في حرفهم واعرهم ونسبياتهم، وينبغي ان يقيموا في ابلية من اطرزة معينة. وعليهم ان يستيقظوا في ساعة معينة... ويتوجب ان يتناولوا طعامهم معاً وينبغي الا يترك اي منهم وحيداً". ويبدو ان هذا الطراز من الحياة الذي ينصح به فورييه يتشابه تماماً مع اسلوب الحياة في الدير - ففورييه كان رجلاً متديناً - زد على ذلك ان فورييه وعد بالقضاء على جميع الرذائل والجرائم والعقوبات وبذلك لن يعود ثابته ثمة حاجة لوجود الدولة. واعلن فورييه ان العيش وفقاً لمخطط امر اختياري تماماً. وكان يأمل بإقامته لكي يبرهن على ان نظامه التعاوني افضل بكثير من فوضى المنافسة التي اشار بها الاقتصاديون والتي شن عليها اعنف حملاته (ستروميرج، ١٩٩٤، ص ٣٥٦-٣٥٧).

ج- بيير جوزيف برودون (١٨٠٩ - ١٨٦٥):

يعد (برودون-Proudhon) من أبرز الاشتراكيين الفرنسيين في القرن التاسع عشر، وله مؤلفات عديدة في هذا المجال اشهرها (ما هي الملكية؟) و(فلسفة البؤس) (يودين، ١٩٨٠، ص ٨٢). لم يقف برودون عند حد الايمان بالمساواة والعداء للملكية الخاصة في ميدان الاعمال بل انه كان يختلف عن سواه من الاشتراكيين بمقاومته للدولة، وكذلك كان المجتمع المثالي الذي تصوره: "اتحاداً بين النظام والفوضى" ومن رأيه انه اذا ما زالت الحكومة انتفت الملكية الخاصة، اذ لن يوجد في هذه الحالة ما يكفل الحماية للمالك. ان الذين قضاوا على نظام الملكية الجماعية بامتلاك الارض كانوا لصوفاً، كما ان رجال الاعمال يسرقون العامل اذ لا يؤدون له القيمة الكاملة عن عمله. ان المبدأ الاساسي الذي يقوم عليه المجتمع ينحصر في حق كل فرد في الحصول على ثمره عمله، ومثل هذا النوع من الملكية يكون طبيعياً وموضوع احترام الجميع اذا انعدم وجود الدولة التي تحمي اولئك الذين يسرقون الجماعة ويستغلون الاخرين (سوريل، ١٩٦٥، ص ٨٧-٨٨). ومن ابرز شعارته في هذا المجال العبارة الشهيرة الخطيرة "الثروة هي السرقة" (فيشر، ١٩٧٢، ص ١٦٦-١٦٧).

د- سيلفان مارشال:

كان لمارشال (Marshall) مؤلفات عدة عن الاشتراكية اثناء وبعد الثورة الفرنسية، الا ان ابرزها هو (بيان المتساويين) الذي الفه في عام ١٧٩٦ (كوتشيرينكا، ١٩٨٧، ص ٢٠١)، وتستحق هذه الوثيقة ان تصنف في عداد النصوص الاشتراكية او الشيوعية الكبرى ومما جاء فيها: "لتلاشي كل الفنون شريطة ان تبقى لنا المساواة الحقيقية... اختفي اخيراً ايها التمييزات المثيرة بين الاغنياء والفقراء، بين الكبار والصغار،

القضاء على القديم، بالرغم من ضرورته ليس فيه الكفاية، ولنا يجب ان يتكون ما هو افضل من النظام الفردي المتميز بالفوضى فيجب القضاء على الحروب ولا بد من توحيد اوربا في ظل برلمان يتيح الحكم للعقلاء والعدول الذين تستنير عقولهم بفضل العلم. وفي ظل هذه المسيحية الجديدة تنبعث المثل الاخلاقية كلها من الاخوة بين ابناء البشر. واعتقد سان سيمون ان مثل هذا النظام يؤدي إلى قيام الملكية العامة للصناعة مع بقاء الملكية الخاصة في ادوات الاستهلاك، كما يحصل كل امرئ على الدخل الذي يتناسب مع ما يؤدي من خدمات. اما المشكلة الدقيقة المتعلقة بتحديد الاجر عن العمل طبقاً للكفاية فيتولاها الموظفون العموميون وفي ظل هذا النظام لا مكان للخاملين اغنياء اكلوا أم فقراء (سوريل، ١٩٦٥، ص ٨٤-٨٥؛ توشار، ٢٠١٠، ج ٣، ص ٧٤١-٧٤٣). ذكر سيمون ان العهد الجديد يتضمن قبل كل شيء الغاء كل فارق طبقي فلا تبقى حاجة للأسياد والبرجوازيين ورجال الدين بل تبقى في المجتمع طبقتان وعاطلون او اناث نحل العسل العاملة وذكرها التي لا تعمل، وفي المجتمع الجديد سيحكم على الطبقة الثانية بالفناء لأنه لا يوجد مجال للعيش الا للطبقة الأولى التي تشمل عدا العمال الديوين، المزارعين، والحرفين، والصناع، واصحاب البنوك، والعلماء، والفنانين. ويجب ان لا يبقى فرق بين هؤلاء الاشخاص سوى الفرق الناشئ عن قابلياتهم المختلفة (COLE, 1953, vol: I, P. 37-50؛ هيز، ١٩٨٧، ص ١٣٠). وقد نفى سيمون صحة الفكرة التي تعتبر الملكية الخاصة حقاً مقدساً للفرد (محمفوظ، ٢٠٠٧، ص ٢٤٨).

ب- شار فورييه (١٧٧٢ - ١٨٣٧):

كان (فورييه-Fourier) ابن تاجر، وكان يأمل في تحويل العالم إلى نظام افضل عن طريق المثل الصالح للاحتذاء، وليس عن طريق الوعظ والارشاد بحيث تكون (الهيئات التعاونية) التي يبشر بها الوسيلة لإظهار تفوق الحياة الجماعية المشتركة. وقد فكر بأنشاء هيئة تعاونية وهذه الهيئة عبارة عن مستعمرة صغيرة يعيش افرادها في بناء مشترك ويختص كل منهم بالعمل اللازم للإبقاء على حياة الجماعة طبقاً لأذواقهم وهذا بدوره يؤدي إلى زيادة الانتاج بحيث يعتزل كل امرئ العمل في سن الثامنة والعشرين وقد امتلأت نفسه بشعور الراحة (سوريل، ١٩٦٥، ص ٨٥-٨٦)، واقترح فورييه الغاء الدولة واحلال خلايا عمال مكابها (فيشر، ١٩٧٢، ص ١٦٦). وقد كان ينادي بالتنظيم الاجتماعي وبالتعاون والترابط وكان يفترض وجود تناغم ومنها كامل للمجتمع حيث قال: "ان الجماعة المثالية يجب ان لا تزيد عن الف وستائة او الف وثمانمائة شخص وان

يلاحظ هؤلاء المفكرون ان القوى الطبيعية في سمات العالم المختلفة موزعة توزيعاً غير عادل. فهم يتساءلون مثلاً اذا كان من العدالة ان تتوفر المواد الخام لتجهيز جيش حديث في اليابان، في حين انها لا تتوفر في الصين. وتعجز افهامهم عن ان ترى كيف يمكن الحصول على السلم العالمي وضمانه من غير وضع نظام ما لتوزيع منابع الثروة في العالم توزيعاً دولياً (فيشر، ١٩٧٢، ص ١٦٧).

ثالثاً- ولادة النظرية الماركسية – البيان الشيوعي:

يعد العديد من الباحثين والمؤرخين ان كارل ماركس (١٨١٨ – ١٨٨٣) هو نبي الحركة الاشتراكية بحق. وقد كان ماركس رجلاً فظ الخلق شديد التعصب لآرائه، وبنيتي إلى اسرة يهودية متوسطة الحال كانت تقطن مدينة تريف من اعمال الرين في المانيا (فيشر، ١٩٧٢، ص ٢٢٩-٢٣٠). نشر ماركس في باريس، في بداية اربعينات القرن التاسع عشر، الافكار الاشتراكية واعتقها. وسرعان ما نشبت ثورات عام ١٨٤٨ حيث اصدر ماركس وفريدريك انجلز (١٨٢٠ – ١٨٩٥) (البيان الشيوعي-The Communist Manifesto) الشهير. لكن لم يكن لهذا البيان، الذي اصبح فيما بعد يتمتع بشهرة كبيرة، اي تأثير يذكر حين صدوره. وكان ماركس وانجلز قد وضعاه لمنظمة يسارية كانت ذات نفوذ ضئيل للغاية في احداث عام ١٨٤٨ (ستروميرج، ١٩٩٤، ص ٣٥٦-٣٥٧؛ نوار ونعني، ١٩٧٣، ص ٥١٥ – ٥١٦). ففي تلك الوثيقة تقدم ماركس بفلسفة جديدة للتاريخ، وبرنامج جديد للإصلاح الثوري، ونداء جديد للعمل الدولي. فكتب مجادلاً بان الطبقات البرجوازية هي التي انجب حُلقتها ظهور الطبقة المقابلة والمعادية لها: وهي طبقة العمال، وان النضال بين هاتين الطبقتين هو مفتاح التاريخ الحديث وان الفريق الكبير من العمال الذين يحسون بمركز طبقتهم الوضيع هم الشيوعيون الذين لن يرضوا بأقل من "قلب النظام الاجتماعي بأكمله بالعنف". ثم عدد عشرة اصلاحات مستعجلة في بيانه، وهي:

- ١- مصادرة الاراضي الخاصة، واستخدام ايجارها في سد نفقات الدولة.
- ٢- جباية ضريبة دخل متدرجة تدرجاً تصاعدياً.
- ٣- الغاء حق الارث.
- ٤- مصادرة املاك جميع النازحين عن البلاد واملاك العصاة.
- ٥- تركيز الاعتمادات المالية لنفقات الدولة بإنشاء بنك مركزي تابع لها، تدفع الدولة رأس ماله ويكون له احتكار مطلق.
- ٦- تركيز وسائل النقل في يد الدولة.

بين المعلمين والاجراء، بين الحكام والمحكومين... ان الثورة الفرنسية ليست الا مقدمة لثورة اخرى اكبر بكثير واكثر اهمية وستكون الاخيرة. فلنلغى كل التمييزات بين البشر غير تمييزات السن والجنس! ولان لكل البشر نفس الحاجات ونفس الملكات فلنتعطي لهم اذن تربية واحدة وتغذية واحدة! ان الفوضى السياسية تمنهم منذ قرون كثيرة، فليعد كل شيء للنظام وليأخذ مكانة ثانية! ولتنتظم عناصر العدالة والسعادة استجابة لصوت المساواة! لقد حانت لحظة تأسيس جمهورية المتساويين هذا الملجأ الكبير المفتوح امام كل البشر ان ايام التصحيح العام قد وصلت" (شوفالييه، ٢٠٠٢، ص ٢٣١).

هـ- لويس بلان (١٨١١ – ١٨٨٢):

يعد (لويس بلان-Louis Blanc) اول اشتراكي دعا العمال انفسهم إلى تحقيق الاصلاحات واستخدام اداة الدولة لخلق المجتمع الجديد. لقد اقترح قيام الدولة بأنشاء نوع من المصانع الاهلية التي تكفل لكل فرد عملاً لا لتكون مجرد اجراء مؤقت لتخفيف حدة البطالة ولكن لتصحيح الاساس الذي يقوم عليه المجتمع الجديد، وكان يعتقد انها كفيلا عن طريق المنافسة المميّزة بالكفاية – مع المشروعات الخاصة – ان تقضي سريعاً على جميع انواع المشروعات الاخرى، وحتى يتسنى مواجهة اية خسارة قد يتحملها احد هذه المصانع التي يتولى ادارتها العمال يتعين اندماجها لتكوين اتحاد قومي عام. ولم يكن بلان من المؤمنين بتساوي البشر في المواهب، ومن هنا طلع بالشعار الاشتراكي الشهير: "من كل حسب مقدرته إلى كل حسب حاجته" وليس معنى هذا المساواة في الاعباء او التوزيع ما دامت الحاجيات كالمواهب متفاوتة ولكن المشروع كله يراد به اتاحة الفرصة للتقدم البشري وهي التي لا وجود لها في ظل النظام التنافسي الذي اساسه حرب الكل على الكل (سوريل، ١٩٦٥، ص ٨٧؛ توشار، ٢٠١٠، ج ٣، ص ٧٦٣-٧٦٦).

على هذا الاساس فقد اختلف الاشتراكيون الأوائل بخصوص مضمون الاشتراكية وسبل تحقيق هذه الفكرة على الواقع، فتصورها البعض في اشاعة المبادئ الانسانية المسيحية في ميادين الصناعة، وتصورها بعض اخر في المساواة في الثروة وتكافؤ الفرص، وآخرون في تملك الدولة وسيطرتها على الارض وادوات الانتاج. كما ان هنالك اشتراكية تقوم على نقابات العمال، واشتراكية محلية، واشتراكية قومية، كل ذلك تبعاً لوجهة نظر المرء إلى الهيئة التي يرى انها اصلح من غيرها لتنظيم الاعمال الصناعية وتوجيهها. بل ان البعض يرى ان الاشتراكية القومية ليست بكافية لإسعاد البشر. اذ

- ٧- زيادة تملك الدولة للمصانع ووسائل الانتاج واعادة توزيع الاراضي الزراعية وتحسينها طبقاً لخطة عامة.
- ٨- الزام جميع الافراد بالعمل، وانشاء جيوش من العمال لاستخدامها في الزراعة بنوع خاص.
- ٩- توحيد العمل في الزراعة مع العمل في الصناعة، والغاء الاختلافات التي توجد بين الحضرة والريف تدريجياً.
- ١٠- توفير التعليم العام لجميع الاحداث، وحظر استخدامهم في المصانع بالشكل الحالي وتوحيد التعليم مع ملائمة للإنتاج الاقتصادي.
- ويختتم البيان الشيوعي قوله بـ: "ان الشيوعيين يعدون اخفاء آرائهم ونواياهم عملاً عميقاً بلا جدوى. وهم يعلنون صراحة ان اهدافهم لا يمكن تحقيقها الا بقلب النظام الاجتماعي الحالي بأكمله بوسائل العنف...فلتفزعن الطبقات الحاكمة امام الثورة الشيوعية. وليس للطبقات العمالية شيء تخشى فقده سوى اصفادها. ولكن امامها العالم كله يمكنها ان تظفر به... فيا ايها العمال من جميع الاقطار والامصار هيا إلى الاتحاد"(فيشر، ١٩٧٢، ص٧٤٤-٧٤٥؛ مخرج، ١٩٧٢، ص١٢٤ - ١٢٧).
- والشيوعي حسب تعريف البيان هو الذي يتخذ موقفاً علمياً من قضايا المجتمع والانسان ويهتم بتحديد المدة الزمنية والنقطة التي يجتازها البشر من مجرى التاريخ، ويبدل جهده للمساك بأقرب حلقة من السلسلة وتوجيه الاحداث والبشر في اتجاه المستقبل لإدراك هذه المرحلة المشدودة التي تمثل سن الرشد بالنسبة إلى الانسانية. لذلك ينصرف بيان ١٨٤٨ إلى دراسة الحركة التاريخية دراسة عقلانية علمية من خلال مظاهر الحياة الايديولوجية والسياسية السطحية الصاخبة. فيكشف عن المراحل الماضية من تاريخ البشرية: (المشاعية البدائية - المجتمع المؤسس على الرق - الاقطاعية - المجتمع البرجوازي الرأسمالي). وان التاريخ منذ انحلال ملكية الارض المشاعية القديمة هو تاريخ صراع بين الطبقات وان هذا الصراع وصل إلى مرحلة لا تستطيع معها الطبقة الكادحة ان تتحرر اليوم من الطبقة التي تستغلها وتضطهدها الا بالغاء الاستثمار كلياً والغاء الصراع البقي إلى الابد. وهذا لا يتم الا باستيلاء الطبقة الكادحة على السلطة السياسية وتغيير الدولة بوصفها اداة سياسية للتطوير الاجتماعي. وذلك على مراحل:
- ١- الثورة الديمقراطية: وفيها يتم التحرر الديمقراطي الوطني.
- ٢- الثورة الاشتراكية: وفيها يتحقق النمو الكبير في وسائل الانتاج وفي الثروة الاجتماعية وتنتاشى المزارعات الطبقة.
- ٣- الشيوعية: وفيها يتم زوال الطبقات وزوال الدولة، وهي مرحلة تتميز بوفرة الخبرات والثروات الاجتماعية ويتحقق المبدأ القائل (من كل حسب طاقته، ولكل حسب حاجته)(فرح، ١٩٧٤، ص٢٨؛ ماريك، ١٩٧٢، ص٥ - ٤٢).
- بعد فشل الحركات الثورية التي قامت سنة ١٨٤٨ في قارة اوربا اتخذ ماركس لندن مقراً له وامضى بها الاربعة والثلاثين عاماً الاخيرة من حياته. والف ماركس وهو مقيم بالجلترا كتابه الكبير الشأن (رأس المال) - يقع في ثلاثة اجزاء - الذي قبله الناس كافة في جميع انحاء المسكونة كنورة الطبقات العاملة حيث انتهى من تأليف الجزء الاول عام ١٨٦٧. ولا يستند نفوذ ماركس إلى عرضه للمبادئ الاقتصادية عرضاً محكم العبارة ولكنه عرض غير مدعم بالأدلة اذ حاول في كتابه ان يثبت ان القيمة في علم الاقتصاد هي عمل متجمد وان القيمة الفائضة التي ينتجها العمل فوق الغلة الثابتة لرأس المال يضيفها الممولون على الدوام بصفة ربح لهم، وانه كلما ازداد الاغنياء غنى ازداد الفقراء فقراً. مبيناً في ثقة ان الفقراء في جميع عصور التاريخ كانوا نهياً للاغنياء اما الان فقد جاء دورهم للسلب والاعتصاب حسب قانون التقدم الانساني الذي لا مرد لحكمه. فالتاريخ بأكمله في نظره ان هو الا نضال بين الطبقات في سبيل الظفر بطيبات الحياة المادية. وهو يرى ان حرب الطبقات وعداء الطبقات هما القانون الاول من قوانين التغير وان دكتاتورية الممولين ستخلفها دكتاتورية الممولين وسيخلف الاخيرة حيناً بحين الوقت، مجتمع عديم الطبقات هو الغاية النهائية لهذا الكفاح الوحشي الطويل الامد وراء الماديات. اما من حيث النظام الرأسمالي فيعتقد ماركس انه يحمل في ثناياه معاول هدمه واسباب منيته(COLE, 1953, Vol: I, P. 250-254؛ فيشر، ١٩٧٢، ص٣٣٠-٣٣٤).
- يتخلص محتوى الفكر الماركسي، كما جاء في كتابه رأس المال في النظريات الثلاث الآتية:
- ١- نظرية المادية الجدلية: وملخصها ان الصراع الطبقي بين البروليتاريا وبين البرجوازية سيؤدي بالضرورة إلى قلب النظام الرأسمالي وبالتالي إلى التطور والتقدم الاجتماعي. وقد جد انجلز في هذا القانون الذي وضعه كارل ماركس قانوناً عاماً لا ينطبق على الميدان الاجتماعي وحده بل ينطبق على الطبيعة أيضاً. اي انه يشكل قانوناً أساسياً ينطبق على الحقيقة في مجموعها وهكذا ولدت المادية الجدلية.

المبوزين السياسيين الفرنسيين، والاطاليين، والالمان، والبولونيين (COLE, 1 953, Vol: II, P. 88، الكيالي وآخرون، ١٩٩٣، ج١، ص٣٢٦ - ٣٢٧)، وعبرت هذه القوة عن وجودها في اجتماع دعا اليه نفر من العمال الانكليزي والفرنسيين انعقد في ٢٨ أيلول ١٨٦٤ في سانت مارتنير هول بلندن، للاحتجاج على قمع قيصر روسيا اسكندر الثاني (١٨٨١-١٨٥٥) الثورة البولندية، التي كانت قد اندلعت عام ١٨٦٣. وقد اشترك في هذا الاجتماع كارل ماركس وانتخب عضواً في المجلس العام، ثم عضواً في اللجنة الدائمة المنبثقة عنه (هوبزبوم، ١٩٩٧، ج١، ص٩٦). هدفت الرابطة إلى ان تكون الحزب العالمي للعمال وليس اتحاداً للأحزاب الوطنية (الكيالي وآخرون، ١٩٩٣، ج١، ص٣٢٧). وقد جاء في نظامها الداخلي: "لما كانت الرابطة تعتبر: أن تحرر الطبقة العاملة ينبغي ان تحققه الطبقة العاملة نفسها، ان النضال من اجل التحرر لا يعني بأي حال نضالاً من أجل خلق امتيازات طبقية جديدة واحتكارات جديدة، بل من اجل اقامة المساواة في الحقوق والواجبات ومن اجل الغاء كل سيطرة طبقية، ان خضوع الانسان الاقتصادي للعمل في ظل نظام مالكي وسائل الانتاج - أي: كل موارد الحياة - والعبودية بأشكالها كافة، هما السببان الرئيسيان للبؤس الاجتماعي والانحطاط الاخلاقي والخضوع السياسي؛ ان التحرر الاقتصادي للطبقة العاملة هو، في كل مكان، الهدف الاساسي الذي يجب ان ترتب به كل حركة سياسية، بوصفها وسيلة لبلوغه؛ ان كل الجهود لبلوغ هذا الهدف الكبير قد فشلت بسبب غياب التضامن بين الشغيلة في فروع العمل المختلفة في كل بلد، وغياب التحالف الاخوي بين الشغيلة في البلدان المختلفة؛ ان التحرر ليس مشكلة محلية أو وطنية اطلاقاً، بل مشكلة اجتماعية تطول جميع البلدان حيث يوجد النظام الاجتماعي الجديد، ويتوقف حلها على التعاون النظري والعملية بين البلدان الأكثر تقدماً، وان تجديد الحركة العالمية الذي يحدث بشكل متزامن في البلدان الاوربية الصناعية يوقظ فينا من حمة، آمالاً جديدة، ولكنه يشكل لنا، من حمة ثانية، تحديراً صارخاً لعدم الوقوع في الاخطاء القديمة، ويدعوننا إلى التنسيق الفوري للحركة التي لم تكن تتمتع إلى الآن بالتماسك والانسجام (COLE, 1953, Vol: II, P. 88؛ المؤتمرات العالمية الأربعة للأمية الشيوعية، www.mounadil_new). كانت الامية الاولى التي اختارت لنفسها اسم (الرابطة الدولية للعمال) منذ نشأتها تضم عناصر متباينة في اتجاهاتها الايديولوجية وهي: أعضاء الاتحادات العالمية الانكليزية المؤمنة بالاشتراكية التعاونية، وأنصار (برودون) الفرنسيون الذين يجذرون العمال من العمل في السياسة،

٢- نظرية المادية التاريخية: وهي عمر البشرية التي تتحكم فيها المادة (المشاعية البدائية - العبودية - الاقطاعية - الرأسالية - الشيوعية تشكل الاشتراكية أول مراحلها).

٣- نظرية الاقتصاد السياسي: حسب النظرية الماركسية يمكن تعريف الاقتصاد السياسي بأنه: "العلم الذي يبحث في تطور العلاقات الاجتماعية للإنتاج، ويحلل القوانين التي تتحكم في الانتاج، وفي توزيع الخيرات المادية في المجتمع البشري خلال المراحل المتعددة لتطوره". فالاقتصاد السياسي الماركسي يعني الاشتراكية العلمية التي تبنى الاشتراكية على معرفة يقينية صارمة تتيح التنبؤ والعمل العقليين وتنفذ الانسان من ضياعه وتجعله يعيش في ظل شروط خارجية انسانية تجعل مظهر الانسان مطابقاً لماهيته. وتنقسم هذه النظرية إلى طورين أو مرحلتين، الأولى: هي المرحلة المعاصرة لماركس التي تتناول الرأسالية قبل الامبريالية. والمرحلة الثانية تتناول النظام الرأسالي بعد ظهور الامبريالية في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين (فرح، ١٩٧٤، ص٣٩-٦٩).

اختمرت الاشتراكية في المجتمعات الاوربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأراد رواد هذه الفكرة من تطبيق ما توصلوا اليه من اراء ونظريات على الواقع في الارض، لذلك ارتبطت الحركة الاشتراكية منذ ستينات القرن التاسع عشر بفكرة الامية التي كانت بمثابة أطر هذه الفكرة بعد ذلك وحتى الآن. وقد نشأت أربعة أميات اشتراكية أفاها كانت الثالثة، والامية الحية لغاية الآن هي الرابعة والتي تسمى بالتروتسكية.

رابعاً: الأمية:

الأمية- Internationalism مصطلح يطلق على التعاون الطوعي بين أم حرة. وقد أخذ في الايديولوجية الاشتراكية معنى يدل على رفض النزعة العرقية والتعصب القومي ووحدة البروليتارية العالمية، وكان أول تعبير عملي له تأسيس الأمية الأولى (الموسوعة العربية، www.arab encyclopedia). وكان ماركس وأنجلز أول من تحدث عن فكرة الأمية في البيان الشيوعي. ويمثل جوهر الامية في الشعار (يا عمال العالم اتحدوا!) (بودين، ١٩٨٠، ص٥٢).

١- الأمية الأولى (١٨٦٤ - ١٨٧٢):

ولدت فكرة الأمية الأولى في مرحلة نمو الرأسالية في بلدان أوروبا الغربية وتنامي نزعتها، اذ اشتد نضال الحركة العالمية في مواجهة البرجوازية وحكوماتها. فالهجرة السياسية التي عقبها هزائم ١٨٤٨ - ١٨٥٠ قد جمعت في بريطانيا، بشكل خاص، عدداً من

منطرف(الموسوعة العربيةwww.arab encyclopedia، الناكرة السنوية ١٩٣٨،
(www.committee for a workers' international).
الأممية الثانية (١٨٨٩ – ١٩١٩):

الأممية الثانية هي الاتحاد العالمي للأحزاب الاشتراكية. ففي بداية ثمانينات القرن التاسع عشر تزايد نشاط الحركة العالمية التي قامت بإضرابات عامة ما بين (١٨٨٥ – ١٨٨٩) وتألقت عدة احزاب عمالية، واشتراكية ديمقراطية، ما بين (١٨٧٥ – ١٨٨٨) في المانيا، وفرنسا، والنمسا. وكان ممثلو التيارات غير الماركسية يطمحون إلى السيطرة على الحركة العالمية فعقدوا مؤتمراً في باريس في ١٤ تموز ١٨٨٩، وعقد الماركسيون، في اليوم نفسه وفي باريس أيضاً، مؤتمراً أعلنوا فيه تحديد يوم العمل بثاني ساعات، وجعل الأول من أيار عيداً عالمياً، وبعد فريدريك أنجلز المؤسس الأول لهذه الأممية. وفي المؤتمرات اللاحقة التقى أعضاء مؤتمري باريس من مختلف التيارات الايديولوجية. كان الشاغل الاساسي في مؤتمر بروكسل عام ١٨٩١ ومؤتمر زورخ عام ١٨٩٣، ومؤتمر لندن عام ١٨٩٦ هو: تحديد الاتجاه العام للأممية الثانية، وللأحزاب الاشتراكية المرتبطة بها(الموسوعة العربيةwww.arab encyclopedia). فقد طرحت على الأممية الاشتراكية، منذ نشأتها، مسألة تتعلق بتحديد حق العضوية فيها. وقد حسم هذا الامر مؤتمر لندن الذي عقد عام ١٨٩٦. فقد استبعدت من العضوية النقابات والتجمعات العمالية غير المنظمة، ولم يبق فيها سوى الاحزاب الاشتراكية(الكليالي وآخرون، ١٩٩٣، ج١، ص٣٢٧). وفي مؤتمر زورخ أعطيت أهمية للعمل السياسي. في هذا المؤتمر قدم (جورجي بليخانوف-Georgi Plekhanov) (١٨٥٦-١٩١٨) تقريراً حول الحرب وضرورة مناهضتها، وناضل الماركسيون بزعامة أنجلز لإنشاء أممية ماركسية شيوعية، ولكنهم أخفقوا في مؤتمر لندن في حمل المؤتمر على تبني ديكتاتورية البروليتاريا. وفي مؤتمر باريس عام ١٩٠٠ طرحت مسألة اشتراك الاحزاب الاشتراكية في الوزارات البرجوازية، وأيد هذا الطرح (كار كاوتسكي-Karl Kautsky) (١٨٥٤-١٩٣٨). وقدمت (روزا لوكسمبورغ-Rosa Luxemburg) (١٨٧١-١٩١٩) اقتراحاً طلبت فيه من الاحزاب الاشتراكية ان تعارض في البرلمانات الاعترادات العسكرية للحرب الاستعمارية. وفي مؤتمر امستردام عام ١٩٠٤ أدينت النزعة الاصلاحية، ورفض المؤتمر الاشتراك في الحكومات البرجوازية، كما قرر أيضاً ضرورة التكتل في حزب واحد لتكوين جبهة قوية ضد الرأسمالية. وفي مؤتمر شتوتغارت عام ١٩٠٧ احتلت قضية الحرب المركز الأول

وأناصر (لاسال) من الحزب الاشتراكي الألماني الذي يؤمن بالهولة العسكرية، ثم اللاجنون السياسيون القوميون أمثال الايطالي (جوسيبي ماتزيني - Giuseppe Mazzini) (١٨٠٥-١٨٧٢). ثم الشيوعيون الماركسيون. وقد تجلت هذه الخلافات الايديولوجية بين العناصر المكونة للأممية الأولى في مؤتمراتها، ففي المؤتمر الأول الذي عقد في جنيف ١٨٦٦ كان الصدام بين الماركسيين وأنصار برودون، بشأن البرنامج الاصلاحى الذي قدمه برودون. وفي مؤتمر لوزان ١٨٦٧ حقق الماركسيون انتصاراً عندما رفض المؤتمر اقتراح برودون ابعاد العمال عن السياسة. وفي مؤتمر بروكسل ١٨٦٨ اشتد النزاع بين ماركس وبرودون، وبين ماركس ولاسال. وفي مؤتمر بال في سويسرا ١٨٦٩ ظهر الصراع بين ماركس و (ميخائيل باكونين - Mikhail Bakunin) (١٨١٤-١٨٧٦) بشأن مسألة الدولة التي طالب باكونين بإلغائها، وبشأن مسألة الغاء الارث، وبشأن طريقة العمل وتنظيم الأممية. وبعد مؤتمر بال كان من المقرر ان يعقد المؤتمر اللاحق في باريس أو في ماينس ١٨٧٠، ولكن هذا المؤتمر لم يعقد بسبب الحرب البروسية - الفرنسية ١٨٧٠ بل انعقد مؤتمر مصغر في لندن عام ١٨٧١ تفاقم فيه الخلاف بين ماركس وباكونين حول المركزية - التي رفضها باكونين، وتمسك بها ماركس - في قيادة الأممية. وبعد اخفاق (كومونة باريس - La Commune de Paris) (التي قامت في ١٩ آذار وانتهت في ٢٩ ايار ١٨٧١) أخذت الأممية الأولى تنفتت بفعل صراعاتها الايديولوجية(الموسوعة العربية،
www.arab encyclopedia النيرى، (www. elaph publishing limite).
ففي فرنسا هيمن أتباع برودون، وفي المانيا هيمن الماركسيون، وفي ايطاليا وسويسرا واسبانيا هيمن الفوضويون، حيث كشفت تجربة الكومونة تخلف وصور الفكر الاشتراكي وعدم فهمه للواقع الاوربي(شالي، www.snurl.com؛ ماركس،
www.marxists.org). وبعد ذلك انعقد مؤتمر لاهاي ١٨٧٢، وتم فيه فصل باكونين، ثم الموافقة على تأليف حزب سياسي مستقل للطبقة العاملة. ونجح ماركس في حمل المؤتمر على التصويت لنقل مقر الأممية إلى نيويورك. لكي يجمع خصومه الايديولوجيين من التأثير في المجلس العام للأممية. يرى المؤرخون الماركسيون أن الأممية الأولى حققت ما طمح اليه ماركس وهو اىصال فكره إلى جماهير العمال في البلدان الرأسمالية، ولكن بعض المؤرخين الغربيين يرى: "أن ماركس هيمن عليا بشخصيته القوية". وعلى كل حال فقد نتج عن مؤتمراتها، وصراع تياراتها الايديولوجية قيام احزاب اشتراكية جاهيرية، بعضها ذو اتجاه ماركسي، وبعضها ذو طابع يساري فوضوي

الشيوعية، كما حدث في بولندا، وتشيكوسلوفاكيا، والمجر، وبلغاريا، والمانيا الشرقية. وفي حزيران ١٩٥١ م عقد الاشتراكيون الهينيون من بلدان حلف الاطلسي مؤتمراً في مدينة فرانكفورت - على الماين وأنشأوا (الأممية الاشتراكية) أو ما يسمى الاشتراكية الدولية التي أخذت على عاتقها توعية الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية، والوقوف كلياً مع المعسكر الرأسمالي (الموسوعة العربية www.arab encyclopedia).

ج- الأممية الثالثة الكومنترون (١٩١٩ - ١٩٤٣):

الأممية الثالثة أي: الأممية الشيوعية وتسمى أيضاً (الكومنترون - Comintern)، وكان الهدف من انشائها، ان تكون أداة للثورة ليس بيد الطبقة العاملة وحسب، بل أيضاً بيد كل عمال العالم المستغلين. وقد جاءت في مرحلة كانت الامبريالية تمر فيها بأزمة، كانت هذه الأممية نتيجة مباشرة للحرب العالمية الأولى، بعد ان كشفت ضعف الأممية الثانية. ولقد عبر عن ذلك (فلاديمير لينين-Vladimir Lenin) (١٨٧٠-١٩٢٤) بقوله: "الآن الأممية الثانية قد افلست ويجب تهيئة اممية جديدة". غير انه كان يجب انتظار الظروف المواتية لخلق الأممية البديلة بالرغم من الاسس النظرية كانت قد وضعت. وقد ساهم في وضعها (نيكولاي بوخارين-Nikolai Bukharin) (١٨٨٨-١٩٣٨) (٣)، وروزا لوكسمبورغ، و(ليون تروتسكي-Leon Trotsky) (١٨٧٩-١٩٤٠) (٤)، و (غريغوري زينوفيف-Grigory Zinoviev) (١٨٨٣-١٩٣٦)، وبصفة خاصة لينين، حين انكبوا على تحليل الامبريالية والثورة، وتوصلوا إلى الاستنتاج التالي: ليست هذه الحرب الا حرباً امبريالية يمكن ان نحولها إلى حرب اهلية، وهذه اوربا تتمخض بثورة. وستجد الجماهير الاشكال التنظيمية التي تضمن اسقاط اجهزة الدولة الرأسمالية، وانشاء ديكتاتورية البروليتاريا. وجاءت ثورة أكتوبر ١٩١٧ لتدفع عملية انشاء هذه الأممية من اجل مد الثورة إلى الدول الاوربية. وقد تم انشاؤها في اذار ١٩١٩ (روبنسون، ٢٠١٥، ص ١٨٨؛ توشار، ٢٠١٠، ج ٣، ص ١٠٠٨)، فقد كان لينين يرى ان اهل الاستعمار الاوربيين عملوا من العالم كله بروليتاريا، وحتى المزارعين في روسيا، وها هم وصلوا نقطة التعاسة التي تكلم عنها ماركس، ولهذا فالثورة في روسيا الآن هي شرعية، وسمي هذا المنطق ب(ماركسية لينينية) (ابو جابر، ١٩٨٥، ص ٢٣٥-٢٣٦).

جاء في نظام الأممية الثالثة الداخلي: "تذكر الحرب الامبريالية! هذه هي الكلمة الاولى التي توجهها الأممية الشيوعية إلى كل شغيل ممها كان أصله أو اللغة التي

في جدول الاعمال. وفي هذا المؤتمر قدم لينين وروزا لوكسمبورغ مشروعاً يقضي بتحويل الحرب الاستعمارية إلى حرب اهلية، ولم يلق المشروع آذاناً صاغية، كما رفض بعض قادة الاحزاب الديمقراطية الاشتراكية وعلى رأسهم (ادوارد برنشتاين-Eduard Bernstein) (١٨٥٠-١٩٣٢) اتخاذ أي قرار ضد النزعة العسكرية لحكوماتهم. وفي مؤتمر بال فوق العادي الذي انعقد سنة ١٩١٢ بمناسبة حرب البلقان، تبنى المؤتمر مقترحات ضد الحرب، وكان المؤتمر التالي سينعقد أيضاً في بال ١٩١٤ ولكن نشوب الحرب حال دون انعقاده (الموسوعة العربية www.arab encyclopedia؛ المؤتمرات العالمية الأربعة للأممية الشيوعية، www.mounadil_new). وطبع يوم ٤ آب ١٩١٤ الانهيار التام لهذه الأممية الثانية العاجزة ليس فقط عن تنظيم اضراب عام ضد الحرب العالمية الأولى التي اندلعت بل الموافقة بوجه خاص على تصويت نوابها في برلمانهم على الاعتمادات العسكرية وارسال ملايين الجنود الشباب إلى الحرب (هوبزباوم، ١٩٩٧، ج ١، ص ٩٦؛ دولير، www.mounadil_new). اتسمت مؤتمرات الأممية الثانية بالصراع الايديولوجي بين ثلاث تيارات: تيار (يميني) تزعمه ادوارد برنشتاين من الحزب الديمقراطي الاشتراكي الالماني و(اسكندر ميلران-Alexandre Millerand) (١٨٥٩-١٩٤٣) من الحزب الديمقراطي الاشتراكي الفرنسي، وتيار (وسط) تزعمه كارل كاوتسكي من الحزب الديمقراطي الروسي، وتيار (ماركسي) تزعمه (اوغست بيبيل-August Bebel) (١٨٤٠-١٩١٣)، و (كارل ليبكنخت-Karl Liebknecht) (١٨٧١-١٩١٩)، وروزا لوكسمبورغ من الحزب الديمقراطي الاشتراكي الالماني، ولينين من الحزب الديمقراطي الاشتراكية الروسي، انقسمت الأممية الثانية بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وبعد انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية الشيوعية في روسيا ١٩١٧، الف لينين في كانون الثاني ١٩١٩ الأممية الثالثة من الاحزاب الماركسية - الشيوعية وفي شباط من العام نفسه أسس بعض ممثلي الاحزاب الديمقراطية - الاشتراكية الذين كانوا أعضاء في الأممية الثانية (أممية برن) ولكن بعض احزاب هذه الأممية انفصل عنها، وأسس في شباط ١٩٢١ (أممية فيسنة). وفي أيار ١٩٢٣ توحدت أممية برن، وأممية فيسنة تحت اسم (الأممية الاشتراكية الشالية). وأيد بعض قادة أحزاب هذه الأممية السياسة الاكلو-أمريكية في الماطلة من أجل الوقوف في وجه الفاشية. لكن قواعد هذه الاحزاب اسهمت في الحرب العالمية الثانية إلى جانب الشيوعيين في النضال ضد الفاشية. وإبان الحرب العالمية الثانية وبعدها عندما توصل بعض مناضلي القواعد إلى قيادة أحزابهم، مع الاحزاب

اشتراكية في الاتحاد السوفيتي ونجاحاتها. وفي المؤتمرات اللاحقة (الخامس، والسادس، والسابع) التي عقدت على التوالي في صيف ١٩٢٤ و ١٩٢٨ و ١٩٣٥، سيطرت الستالينية بزعماء ستالين وتبنت هذه المؤتمرات النضال من أجل بلشفة الاحزاب الشيوعية، والنضال ضد الفاشية، والتروتسكية، والديمقراطية الاشتراكية. يضاف إلى ذلك أنه في المؤتمر السادس اتخذ قرار بدعم الثورة الصينية، وفي المؤتمر السابع حين لاح في الأفق شبح الحرب العالمية الثانية، دعا المؤتمر إلى ضرورة التفاهم مع الاحزاب الديمقراطية الاشتراكية للنضال ضد الفاشية. كان المؤتمر السابع الذي انعقد في موسكو عام ١٩٣٥ آخر مؤتمر تعقده الأمية الشيوعية - أي الأمية الثالثة - وفي أيار ١٩٤٣ صادقت هيئة رئاسة اللجنة التنفيذية للأمية الشيوعية على قرار حل الأمية الشيوعية. وذلك لأن هذا الشكل التنظيمي للحركة الشيوعية الذي كان يستجيب لمتطلبات المرحلة الأولى لهيوس الحركة الشيوعية لم يعد يتطابق مع المرحلة الجديدة التي شهدت ظهور أحزاب شيوعية في أغلب بلدان العالم. نجحت الأمية الثالثة في بلشفة الأحزاب الشيوعية على غرار الحزب الشيوعي السوفيتي، وأسهمت في إيجاد احزاب شيوعية جديدة في بعض بلدان المعسكر الرأسالي، لكنها بعد وفاة لينين رمخت الستالينية في تكتيك الأحزاب الشيوعية واستراتيجيتها (الموسوعة العربية www.arab (encyclopedia .

د- الأمية الرابعة (١٩٣٨-....):

بعد المؤتمر الخامس للأمية الثالثة بدأ الصراع يتجلى في الاتحاد السوفيتي بين ستالين من جهة، وتروتسكي، وزينوفيف، وبوخارين من جهة أخرى، بشأن مسألتين الأولى هي: هل يمكن بناء الاشتراكية في بلد واحد - هو الاتحاد السوفيتي - في ظل التطويق الرأسالي؟ كان تروتسكي على عكس ستالين، يرى أن ذلك غير ممكن. أما المسألة الثانية فهي: الموقف من الثورة الصينية (١٩٢٧-١٩٢٥)، وبتم تروتسكي في الأدبيات الماركسية السوفيتية بأنه وقف من الثورة الصينية موقفاً انتهازياً. لكن ستالين كان يرى ان الثورة الصينية ثورة فلاحية وبرجوازية ولكنها ضد الاستغلال والاستعمار، ويمكن ان تتحول إلى ثورة بروليتارية جهايرية بقيادة حزب شيوعي يجب على الماركسيين الصينيين إيجاده، ورأى ان موقف تروتسكي انتهازى يلحق الضرر بهذه الثورة، لهذا فصلت اللجنة التنفيذية للأمية الثالثة في كانون الأول ١٩٢٦ كتلة (تروتسكي - زينوفيف) من صفوفها (تد، ٢٠٠٤، ص ١٠٥-١٢٩). ولأسباب عديدة تأخر انشاء هذه الأمية - أي الرابعة - حتى عام ١٩٣٨، وكان التأسيس في

يتكلمها. تذكر انه بفعل وجود النظام الرأسالي، تمكنت حفنة من الامبرياليين، خلال سنوات أربع طويلة، من اجبار الشغيلة في كل مكان على ذبح بعضهم بعضاً! تذكر ان الحرب البرجوازية قد أغرقت أوروبا والعالم أجمع في الجوع والفقر! تذكر أنه دون اطاحة الرأسالية فإن تكرار هذه الحروب الاجرامية لن يكون ممكناً فحسب بل هو محتم! إن الاممية الشيوعية قد وضعت نصب أعينها الكفاح المسلح من أجل اطاحة البرجوازية العالمية، وخلق الجمهوريات الاممية للسوفيتات^(٥)، المرحلة الأولى على طريق القضاء التام على كل نظام حكومي. وتعتبر الاممية الشيوعية ان دكتاتورية البروليتاريا هي الوسيلة الوحيدة المهيأة لتخليص الانسانية من الفظائع الرأسالية، وتعتبر سلطة السوفيانات شكل دكتاتورية البروليتاريا الذي يفرضه التاريخ. لقد خلقت الحرب الامبريالية صلة وثيقة جداً بين مصير الشغيلة في بلد محدد ومصير البروليتاريا في البلدان الاخرى كافة. لقد أكدت الحرب الامبريالية مرة جديدة صحة ما ورد في الاظلمة الداخلية للأمية الأولى: أن تحرر الشغيلة ليس محممة محلية، ولا وطنية، بل محممة اجتماعية وأمية. ان الاممية الشيوعية تقطع إلى الابد مع تراث الاممية الثانية، لم يكن يوجد في الواقع، بالنسبة لها، الا الشعوب ذات العرق الابيض. فالأمية الشيوعية تتأخر مع الشعوب في كل الاعراق: الأبيض، والأصفر، والاسود، ومع شغيلة الارض أجمع. ان الاممية الشيوعية تدعم بالكامل، ودون تحفظ، مكاسب الثورة البروليتارية العظمى في روسيا، أول ثورة اشتراكية منتصرة في التاريخ، وتدعو بروليتاري العالم إلى السير في الطريق نفسه، وتتعهد الاممية الشيوعية بدعم كل جمهورية اشتراكية تنشأ في أي مكان، بكل الوسائل التي تكون ممتناولها. لا تهمل الأمية الشيوعية أنه من أجل تسريع النصر على العصابة الأممية للشغيلة، التي تقاوم لإزالة الرأسالية وبناء الشيوعية، أن تمتلك تنظيماً شديداً المركزية، وأن على الآلية المنظمة للأمية الشيوعية أن تؤمن للشغيلة في كل بلد محدد إمكانية تلقي كل نجدة ممكنة، في أي وقت من جانب العمال المنظمين في البلدان الأخرى" المؤتمرات العالمية الأربعة للأمية الشيوعية، www.mounadil_new).

لم يظهر في مؤتمرات هذه الأمية صراعات أيديولوجية واضحة فقد سيطر فكر لينين في المؤتمرات الأربعة الأولى، التي عقدت على التوالي في الأعوام ١٩١٩ و ١٩٢٠ و ١٩٢١ و ١٩٢٢ وأهم القضايا التي تناولتها على الترتيب هي: تبني دكتاتورية البروليتارية، واقامة احزاب بلشفية على غرار الحزب البلشفي السوفيتي، والنضال ضد بقايا الديمقراطية الاشتراكية في الاحزاب الشيوعية، ثم دراسة مشاكل التجربة

١- كانت الاشتراكية كغيرها من الافكار الاوربية الاخرى في العصر الحديث هي نتاج للثورة الفرنسية وللأحداث التي مرت بها الشعوب الاوربية في عصر هيمنة نابليون، فبعد تخلص الشعب الفرنسي بالدرجة الاولى من خيوط الحكم السابقة وهي (الملك، الاقطاع، الكنيسة) برزت افكار تركز في نظرتها إلى كيفية قيادة وحكم هذه الشعوب، فكان من بين تلك الافكار الفكر الاشتراكي الذي ادلى بدلوه في هذا المضمار وحقق نجاحاً كبيراً بعد الحرب العالمية الأولى.

٢- كان للبيان الشيوعي سنة ١٨٤٨ ابلغ الاثر في القفزة النوعية التي شهدتها هذا الفكر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ويمكن القول بان كارل ماركس وانكز قد سيطرا بدرجة كبيرة على مسار تطور هذا الفكر، من حيث نظرتهم إلى التاريخ، وإلى علاقة الاقتصاد بالشعب، وموقع الحكومة في النظرية الاشتراكية، وموقع الفكر الاشتراكي بين الافكار الاخرى على الساحة الدولية.

كانت فكرة الاممية هي الفكرة الاكبر التي خلص اليها الاشتراكيون الاوائل، وقد نتجت بفعل ان الاشتراكية لا تخص قومياً دون اخر أو منطقة جغرافية دون اخرى وانما تخص شعوب العالم اجمع، فكان بناء الاممية بمثابة الظل الذي يجمع تحته اشتراكيوا العالم للتباحث في مستقبل العالم استناداً على النظرية الاشتراكية، التي حلم روادها بانتشارها في العالم وتطبيقها على كافة الشعوب ليؤسس نظاماً عالمياً تسود فيه الطبقة الواحدة.

المصادر

الكتب العربية:

- ابو جابر، فايز صالح. (١٩٨٥) الفكر السياسي الحديث، بيروت.
 تد، الان. (٢٠٠٤) ديمقراطيات وديكتاتوريات سادت اوربا والعالم بين ١٩١٩ - ١٩٨٩، ترجمة: مروان ابو حبيب، لبنان.
 توشار، جان. (٢٠١٠) تاريخ الافكار السياسية: الاشتراكية-الليبرالية-القومية-السلفية، ج٣، ترجمة: د. ناجي الدراوشة، دار التكوين، دمشق.
 حسين، فاضل و نعمة، كاظم حسين. (١٩٣٩) التاريخ الاوربي الحديث ١٨١٥-١٩٣٩، بغداد.
 روبنسون، سدريك جي. (٢٠١٥) الماركسية السوداء: تكوين حراك ثوري للشعوب السوداء، ترجمة: عاطف معتمد و عزت زيان، المركز القومي للترجمة، القاهرة.
 ستروميرج، رونالد. (١٩٩٤) تاريخ الفكر الاوربي الحديث ١٦٠١ - ١٩٧٧، ط٣، القاهرة.
 سوريل، جورج. (١٩٦٥) المذاهب الاقتصادية الكبرى، ترجمة وتقديم: د. راشد البراوي، ط٤، القاهرة - نيويورك.
 شوفالبييه، جان جاك. (٢٠٠٢) تاريخ الفكر السياسي: من الدولة القومية إلى الدولة الأممية، ترجمة: محمد عرب صاصيلا، ط٣، بيروت.
 فرح، الياس. (١٩٧٤) تطور الفكر الماركسي: عرض و نقد، ط٣، بيروت.
 فيشر، ه. أ. ل. (١٩٧٢) تاريخ أوربا في العصر الحديث ١٧٨٩ - ١٩٥٠، ترجمة: احمد نجيب هاشم و وديع الضيع، ط٦، مصر.

باريس (الكيبالي وآخرون، ١٩٩٣، ج١، ص٣٢٧-٣٢٩)، حين اجتمع فيها، في سرية مطبقة - لأسباب عائدة، من جهة، إلى القمع الستاليني الذي تجاوز آنذاك اعدامات الثوريين في الداخل إلى اغتيالهم في الخارج، ومن جهة اخرى إلى القمع الفاشي وسائر انواع القمع البرجوازي - أربعون شخصاً من (٢٨) بلداً عبر العالم لتأسيس أممية جديدة، كانوا يتطلعون إلى ان تتطور سريعاً لتشكّل هيئة أركان الثورة العالمية، التي اعتبر تروتسكي آنذاك أن مقدماتها الموضوعية "ليست ناضجة وحسب، بل أخذت تتعفن". وقد رأى في الوثيقة الأهم التي كتبها وصدرت عن ذلك المؤتمر وباتت معروفة بالبرنامج الانتقالي أنه "بدون الثورة الاشتراكية في الفترة التاريخية القادمة تتعرض الحضارة الانسانية بأكملها لخطر الكارثة" و اضاف ان "الأزمة التاريخية التي تعاني منها الانسانية تتلخص في أزمة القيادة الثورية" (داغر، www.mounadil_new). رأى تروتسكي ان الخلاص غير ممكن الا بالثورة الاشتراكية الاممية، بالثورة الدائمة، التي يجب ان تكون قومية وأممية، ولا يجوز بقاء الثورة ضمن اطارها القومي. والحزب هو منظم الثورة العالمية، والديكتاتورية هي ديكتاتورية الحزب. وقد وافق المؤتمرون على مقترحات تروتسكي، واتخذت هذه الأممية لها فروعاً في مختلف البلدان، الا انها بقيت من دون تأثير، وانقسمت على نفسها بعد اغتيال تروتسكي عام ١٩٤٠ (الموسوعة العربية www.arab encyclopedia). منذ المؤتمر التأسيسي للأممية الرابعة في عام ١٩٣٨، بات عدد المؤتمرات التي عقدتها خمسة عشر، كان اخرها في شباط ٢٠٠٣. وهي موجودة الآن في أكثر من اربعين بلداً (مورو، ٢٠٠٨، ص٧).

اذا استثنين الاممية الرابعة - التروتسكية - الضعيفة التأثير في الحركة العالمية، و (الأممية الاشتراكية) - أممية فيينة - جاز القول انه لا يوجد حالياً - بالمعنى الذي سلف عن الأمميات - تنظيم للحركة العالمية العالمية، فبعد ان حلت الأممية الثالثة نفسها عام ١٩٤٣، أخذت الاحزاب الشيوعية والمنظمات التقدمية على عاتقها قيادة الحركة العالمية. وبعد الحرب العالمية الثانية ظهرت بعض التنظيمات التي يمكن ان يضاف عليها طابع أممي (كتحاد الطلاب العام العالمي، واتحاد المعلمين العام العالمي، واتحاد العمال العام العالمي) (الموسوعة العربية www.arab encyclopedia).

الخاتمة:

لقد توصلت الدراسة إلى بعض الاستنتاجات المهمة عند البحث والخوض في تفاصيل الفكر الاشتراكي وهي:

النميري، فؤاد. قومية الماركسية، جريدة ايلاف، العدد (٢٨٨٢) متاح على الموقع الإلكتروني:

www.elaph publishing limited

ماركس، كارل. متاح على الموقع الإلكتروني:

www.marxists.org

تأسيس الاممية الرابعة. متاح على الموقع الإلكتروني:

www.Committee for a Workers' International (CWI) Lebanon

دوبلير، جورج. سبتمبر ١٩٣٨ تأسيس الاممية الرابعة، جريدة المناضل، العدد (٢١) متاح على

الموقع الإلكتروني:

www.mounadil_new

داغر، كميل، الاممية الرابعة، جريدة المناضل، العدد (٢١)، متاح على الموقع الإلكتروني:

www.mounadil_new

الهوامش

(١) البروليتاريا: كلمة ذات اصل لاتيني وقد استعملها الرومان، وتعني مجموعة من العاملين يتقاضون اجوراً على عملهم، وحسب المفهوم الماركسي تعني طبقة العمال الاجراء العصريين الذين يضطرون لعدم امتلاكهم وسائل انتاج- الى بيع قوة عملهم لئتمنكوا من العيش. ينظر: (فقير، www.alifkir.blogspot.com).

(٢) فردريك انجلز (١٨٩٥-١٨٢٠): عالم اجتماعي الماني، صحفي وثورى محترف، اشتهر بتعاونه الوثيق والطويل مع كارل ماركس، ساهم انجلز مساهمة فعالة في صياغة النظرية الماركسية. اصدر مع ماركس البيان الشيوعي الشهير عام ١٨٤٨ ينظر: (الموسوعة الفلسفية، ١٩٧٤، ص ٥٢).

(٣) ولد بوخارين سنة ١٨٨٨ وانضم إلى البلشفيين بداية في الجناح اليساري للحزب الديمقراطي الاشتراكي، ومنذ سنة ١٩٢٤ اصبح ينتقل على نحو متزايد إلى اليمين، وكان المدافع الرئيسي عن السياسة الاقتصادية الجديدة حتى سنة ١٩٢٨ عندما انهزم امام ستالين. بعد ان سمح له بالعودة إلى صفوف الحزب في الثلاثينات ساعد بكتابة مسودة الدستور سنة ١٩٣٦، وقد اعدم سنة ١٩٣٨. ينظر: (تد، ٢٠٠٤، ص ١٠٩).

(٤) ليون تروتسكي: ولد تروتسكي سنة ١٨٩٧، انضم سنة ١٨٩٩ إلى حزب العمال الديمقراطي الاجتماعي الروسي، شارك في مؤتمره الثاني الذي عقد سنة ١٩٠٣، عاد إلى روسيا سنة ١٩١٧ وانضم إلى البلشفيين حيث كون مع لينين تطوعات متشابهة، وشكل الجيش الاحمر وقاده اثناء الحرب الاهلية في روسيا. للتفاصيل ينظر: (تد، ٢٠٠٤، ص ١٠٧).

(٥) من المهم الإشارة إلى أن مصطلح السوفيت وتعني (مجلس محلي)، أطلق رسمياً على الدولة الروسية في عام ١٩٢٢ بعد انتهاء الحرب الأهلية فيها، وباتت تعرف تلك الدولة الحديثة التي بنيت على أنقاض ممتلكات روسيا القيصرية السابقة اسم (اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية)، وبات يعرف بعد ذلك بالاسم المختصر (الاتحاد السوفيتي)، ولكن مصطلح السوفيت كان متداولاً في روسيا منذ عام ١٩٠٥. ينظر: (تد، ٢٠٠٤، ص ١٠٣-١١١؛ الكيلبي وآخرون، ١٩٩٣، ج ١، ص ٣١).

كوتشيريكا، غ. س. (١٩٨٧) الثورة الفرنسية الكبرى من وجهة نظر الاشتراكيين الطوباويين في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، في: من تاريخ الحركات الاجتماعية والفكر الاجتماعي، مجموعة مقالات، ترجمة: د. طنوس شلهوب، بيروت.

ماريك، فرانز. (١٩٧٢) فلسفة الثورة العالمي، ترجمة: منير شفيق، بيروت.

محموظ، محمدي. (٢٠٠٧) اتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث، ط ٣، بيروت.

مخربغ، فرانز. (١٩٧٢) كارل ماركس: تاريخ حياته ونضاله، ترجمة: خليل الهندي، بيروت.

مورو، فرانسوا. (٢٠٠٨) الاممية الرابعة من تروتسكي مؤسساً إلى الان، تقديم: دانيال بن سعيد، ترجمة: كميل داغر، بيروت.

موسى، سلامة. (١٩٦٢) الاشتراكية، ط ٢، القاهرة.

ميدلوكوب، ويليام. (٢٠١٦)، الانبهار الكبير: حروب الذهب ونهاية النظام المالي العالمي، ترجمة: ابتهام محمد الخضراء، دار العبيكان، بيروت، الرياض.

نوار، عبد العزيز سليمان و نعنعي، عبد المجيد. (١٩٧٣) التاريخ المعاصر: اوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، بيروت.

هوزيياوم، ايريك. (١٩٩٧) عصر النهايات القصوى وجيز القرن العشرين ١٩١٤-١٩٩١: ج ١: عصر الكارثة، ترجمة: هشام الدجاني، دمشق.

هيز، كارلتون. (١٩٨٧) التاريخ الأوروبي الحديث ١٧٨٩-١٩١٤، ترجمة: د. فاضل حسين، الموصل.

الكتب الانكليزية:

Cole, g. D. H. (1953) socialist thought : the forerunners 1789 - 1850, volume: i, london.

Cole, g. D. H. (1953) socialist thought : the forerunners 1850 - 1890, volume: ii, london.

الموسوعات:

ابو جابر، فايز صالح. (١٩٨٥) الفكر السياسي الحديث، بيروت.

تد، الان. (٢٠٠٤) ديمقراطيات وديكتاتوريات سادت اوربا والعالم بين ١٩١٩ - ١٩٨٩، ترجمة: مروان ابو حبيب، لبنان.

فرح، الياس. (١٩٧٤) تطور الفكر الماركسي: عرض ونقد، ط ٣، بيروت.

كوتشيريكا، غ. س. (١٩٨٧) الثورة الفرنسية الكبرى من وجهة نظر الاشتراكيين الطوباويين في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، في: من تاريخ الحركات الاجتماعية والفكر الاجتماعي، مجموعة مقالات، ترجمة: د. طنوس شلهوب، بيروت.

ماريك، فرانز. (١٩٧٢) فلسفة الثورة العالمي، ترجمة: منير شفيق، بيروت.

مخربغ، فرانز. (١٩٧٢) كارل ماركس: تاريخ حياته ونضاله، ترجمة: خليل الهندي، بيروت.

مورو، فرانسوا. (٢٠٠٨) الاممية الرابعة من تروتسكي مؤسساً إلى الان، تقديم: دانيال بن سعيد، ترجمة: كميل داغر، بيروت.

نوار، عبد العزيز سليمان و نعنعي، عبد المجيد. (١٩٧٣) التاريخ المعاصر: اوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، بيروت.

هوزيياوم، ايريك. (١٩٩٧) عصر النهايات القصوى وجيز القرن العشرين ١٩١٤-١٩٩١: ج ١: عصر الكارثة، ترجمة: هشام الدجاني، دمشق.

البحوث والمقالات المنشورة على الانترنت:

فقير، علي. حول مفهوم البروليتاريا، متاح على الموقع الإلكتروني:

www.alifkir.blogspot.com

شالي، نصر. الاشتراكية، متاح على الموقع الإلكتروني:

www.snurl.com

الموسوعة العربية. متاح على الموقع الإلكتروني:

www.arab encyclopedia.htm

المؤتمرات العالمية الأربعة للأمية الشيوعية، في جريدة المناضل، العدد (٢١)، متاح على الموقع الإلكتروني:

www.mounadil_new